بسم الله الرحمن الرحيم

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

صدق الله العظيم

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ هدًى لِلنَّاسِ وبَيِّنَاتٍ من الهُدَى والفُرقَانِ »

صدق الله العظيم

كلما بزغ هلال رمضان من عام جديد للقمر ، فرض الشهر الكريم على الدنيا أن تسترجع ذكرى المبعث ؛ من حيث بدأ التاريخ يسير مع المصطفى عليه الصلاة والسلام ؛ ويرصد كل خطوة من خطاه فى البلد العتيق ودار الهجرة ؛ ويسجل كل جولة من جولات الصراع بين الدين الإسلامى وبين الوثنية العربية والعصابات اليهودية ، على امتداد عشرين عاماً تم فيها النصر للإسلام ؛ لتنتقل الجولة مع الصحابة فى حركة الفتوح الكبرى التى أطفأت نار المجوسية . وألقت بالنسر الرومانى الهرم المريض تحت مواطئ الفاتحين ، فما مضى على المبعث نصف قرن حتى كان لواء الإسلام يظل العالم القديم من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب .

* * *

الملايين من المسلمين فى شتى أقطار الأرض ، على موعد مع هذا الشهر المبارك .

ينتظرونه فى لهفة وترقب ؛ وأعناقهم مشرئبة إلى أعالى الآفاق ،

ترصد مولد هلاله الأغر ؛

ليبدأوا به موسمهم الأكبر ، ويخوضوا معركتهم الفذة فى مجاهدة النفس وهى أشق أنواع الجهاد

ومن بين شهور العام كله ، ينفرد « رمضان » بالذكر فى كتاب

الإسلام . تسجيلا لحرمته وجلاله :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

وحين يخضع الاحتفال بالمناسبات التاريخية والأعياد الدورية . للأعراف والعادات والتقاليد . ويُترك لظروف الزمان والمكان .

يظل احتفالنا بشهر رمضان صوماً وعبادة ومجاهدة . تستغرق كل أيامه ولياليه . من بدء شهود هلاله إلى أن يتم القمر دورته ويبزغ هلال شوال إيذاناً بعيد الفطر .

والقرآن هو الذى تولى تشريع الاحتفال به على ما يليق بجلاله ،

لكيلا يمضى على مألوف الاحتفال بالأعياد ، تتوه عبرتها فى ضجيج طبل وزمر ورقص وغناء . وتلتمس فيها الفرص للتحلل من القيود ، والإقبال على المتع والملذات فى تهالك وإسراف .

وليكون لنا من شهر القرآن . موسم تدريب جماعى ، يأخذنا بضبط النفس على احتمال مشاق التكليف . والصبر عليها ، تحت رقابة الله والضمير ، ويروضنا على تحمل الحرمان من المطالب الجسدية التى تُذل الإرادة . والمتع الحسية التى تفل العزم . ويحررنا من أسر الماديات التى تعطل فينا إنسانية الإنسان . ويبلو ضمائرنا فى الرقابة على سلوكنا لكيلا تلين تحت وطأة الظروف القاسية .

وعلى مسار الزمن ، فى مثل هذا الموعد المقرر من دورة عام القمر ، يتكرر المشهد الباهر على امتداد العالم الإسلامى الرحب ، مَظهرَ وحدة جامعة تكتملت بها العقيدة الإسلامية فلا نحتاج فيها إلى خطط

موضوعة . ولا يعوزنا لها تدبير من صنع البشر ؛ بل حسبنا أن نشهد هلال رمضان ، لنبدأ معاً موسمنا الأكبر ، على تنائى الديار واختلاف الأقاليم ؛ احتفالا بشهر القرآن ، صوماً وتعبداً ومجاهدة .

ونحيا الأمة الإسلامية فى مناخ روحى يتألق بنور الإيمان والتقوى ؛ ويتوهج بعزة الخشوع لخالقنا وحده لا نعبد إلا إياه .

وتوانا الدنيا أمة واحدة يظلها لواء واحد ، قد جمعها على البر والتقوى ، والتواصى بالحق والخير والأمر بالمعروف والتناهى عن الشر والمنكر :

« وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ »

وفى فيض من سنا الشهر المبارك ، أسلم نفسى إلى تأمل مستغرق ، فأرانى طويت أبعاد الزمان والمكان إلى مسرح الأحداث الكبار التى بدأ بها عصر جديد للإنسان ، وعشت بوجدانى وفكرى مع المصطفى عليه الصلاة والسلام ، من غار حراء إلى مثواه فى المدينة المنورة .

حتى إذا وصلت بى رحلتى الوجدانية إلى نهاية عصر المبعث ، لم أشأ ، بل لم أستطع أن أفرغ منها وأنصرف عنها . فكأنى إذ أعكف على كتابتها أطيل مدى أنسى بها ، وألتمس من مشاركة قرائى ما يضاعف لى عطاءها السخىّ ويمددها المسعف

وما أقدمه إلى قومى من حديث هذه الرحلة مع المصطفى عليه الصلاة والسلام. ليس التاريخَ وليس السيرة. وإنما هى مشاهد مما اجتليتُ: سيطرتْ على خواطرى: ومواقفُ شدّت إليها تأملى بجاذبية آسرة، وارتبط فيها الماضى الحى بالحاضر المشهود. فما تتجلى لنا رؤية الأمس إلا فى غمرة من ظلال اليوم. ولا نستروح عطر التاريخ لعصر المبعث، إلا مشوباً بأنفاس الواقع الذى تعيشه أمة الإسلام: فى صراعها مع أعداء النور وحزب الشيطان:

« الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فى سَبيل اللهِ. والَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فقَاتِلوا أَولياءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشيطانِ كانَ ضعيفاً »

صدق الله العظيم